الفصل الأول

١- ولو كنت وحـــدك

٢- مقامات الســـائرين

٣- ورد المعرفـــــــــة

٤- المـــــــــــودة

١ - ولو كنت وحدك

﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]

قيّض الله لأناس رسلاً من عنده، فكذب هؤلاء القوم الرسل، ولكن رجلاً واحدًا من القوم - لا منعة له ولا قوة - أدرك علامة من علامات الإخلاص والصدق والهداية في هؤلاء المرسلين، إنها قيامهم بدعوة تحتشد عليهم الأذى دون أن يعود عليهم منها مغنم مادي، فهم لا يسألون الناس شيئًا، واستبان للرجل طريق الهداية والابتعاد عن الضلال حين فهم من دعوة المرسلين اتفاقها مع الفطرة التي تأبى أن يخضع الإنسان لغير فاطره الذي يملك وحده النفع والضر

فجاء من أقصى المدينة يسعى، تحرك الرجل وحده، لقد أدرك

---

١ - الآيات من ٢ ٣ من سورة يس

الرجل مسئوليته الفردية، لم يكن معه سوى توجه عام واضح غاية الوضوح ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾

وعلى الرغم من بعده عن المرسلين، وتعذر الاتصال المباشر بهم فقد تحرك ودعا، إنه الرجل الأمة، أو الفرد المؤسسة، ذلك الذي يريد أن يكون نواة يجتمع حوله من يريد الإصلاح ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ هو وحده مؤسسة دعوية كاملة، تؤمن فتعمل، وتتحرك فتدعو، لم يدفعه تفرده للانكماش والتقوقع والانعزال، ولم يثنه تباعد الأماكن عن السعي والحركة والالتزام

ثم كانت له لحظة، وكانت لهم لحظة، لحظته خطوة واحدة من الدنيا إلى الجنة، بلغ من خفتها وسهولتها وسرعتها أن لم يرد لها وصف في الآيات الكريمات يؤخر سرعة إدراكنا لهذه الفئة اللطيفة أو يقربها بأدنى معاناة، أما لحظتهم فهي صيحة، وكأنهم أهون على الله أن ينزل عليهم جندًا أو ملائكة، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾، وكذلك حال الطغاة، بلغت كم المهانة أن لم يتحملوا صيحة

والآيات تملي علينا واجبًا عمليًّا، وهو أن يكون كل منا أمة في رجل، أو مؤسسة دعوية في فرد، أو نواة إسلامية بين الناس في بيته، وجاره، قرب داره وبعيدًا عنه، في أقصى المدينة وفي وسطها، معنى ذلك أن يختار كل منا عملاً إسلاميًّا يجمع عليه آخرين، يكون هو نواته

*****

٢- مقامات السائرين

بين الفجور والتقوى

يقول ﷻ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1]

فالنفس عندها القدرة والاستعداد، لتفجُر وتكفر وتعصي وتتعند، وعندها القدرة والاستعداد بنفس القدر والإمكانية على الطاعة والتقوى والتقرب إلى الله، فالذي يزكي نفسه ويطهرها يصبح من المفلحين المؤمنين، وقد خسر من جعلها تبعد عن نور الله وطريقه

و المؤمن في سيره إلى الله يرتقي بنفسه في درجات، ويمر بها في مقامات، يقيم فيها مدة من الزمن يزكي نفسه ويطهرها، وتعتريه أحوال قد تكون عارضة تزول سريعًا أو تستمر فتتحول إلى مقام راسخ

مقامات السائرين

وأول مقامات السائرين إلى الله هو **مقام الإسلام**، يقول ﷻ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

ثم يرتقي درجة إلى مقام أعلى، وهو **مقام الإيمان**، يقول ﷻ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

---

١ - الآيات من ٨ - ١٠، من سورة الشمس

٢ - الآية ٨٥ من سورة آل عمران

عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

ثم يعلو إلى مقام الإحسان، يقول ﷻ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]

ثم يرتقي إلى مقام التقوى، يقول ﷻ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]

ثم يعلو إلى دورة مقامات الإسلام عندما يقيم قلبه في مقام الشكر، يقول ﷻ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]

ولقد شرح رسول الله ﷺ تلك المقامات، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ فَعَجِبنا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ

---

١ - الآية ١٤ من سورة الحجرات

٢ - الآية ٩٣ من سورة المائدة

٣ - الآية ١٧٢ من سورة آل عمران

٤ - الآية ١٢٣ من سورة آل عمران

الإيمان، قالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [رواه مسلم، من الحديث ٩]

فجعل الله الإسلام طريقًا للإيمان، والإيمان سبيلاً للإحسان، والإحسان سببًا للتقوى، والتقوى تقود إلى الشكر، فالشكر هو قمة العبودية لله ﷻ، يقول ﷺ «أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» [رواه البخاري، الحديث ١٠٦٢]

تلك هي المقامات الرئيسية في رحلة السير إلى الله، وعنها يتفرع الكثير من المنازل

والمنزل هو المكان الذي يؤمَّل للنزول والراحة فيه، والمقصود هنا هو نزول القلب في محلٍّ من محلات السير إلى الله ﷻ ﴿إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]

والمنزلة درجة من درجات تحلّي النفس والقلب بخُلُق من مكارم الأخلاق الربانية والاتصاف بصفات الجمال التي أمر الله ﷻ المؤمنين أن يتصفوا بها

واعلم أن ترتيب هذه المقامات ليس باعتبار أن السالك يقطع المقام ويفارقه وينتقل إلى الثاني - كمنازل السفر الحقيقي - فهذا محال، فكل هذه المقامات تلزمه وتنتقل معه حيث ارتحل

*****

١ - الآية ٨٩ من سورة الشعراء

٣- ورد المعرفة

هذه عشرة مواضع من القرآن الكريم تدور حول معرفة الله ﷻ، وهي بداية الطريق وسوره وعايته ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلا اللَّـهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[١].

فتعرَّف على الله من آياته وأنت ملتزم بكل آداب تلاوة القرآن، من طهارة واستقبال للقبلة واستعادة وتجرد وخشوع وتدبر

وتيقن بأن طريق معرفة الله هي كلامه، فهو ﷻ خير من يُعرِّف نفسه ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢]

١- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣]

٢- ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[٤]

٣- ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

---

١ - من الآية ١٩ من سورة محمد

٢ - من الآية ١٤ من سورة فاطر

٣ - الآية ١٨٦ من سورة البقرة

٤ - الآية ٣ من سورة الأنعام

الْخَبِيرُ﴾[1]

٤- ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]

٥- ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]

٦- ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]

٧- ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[5]

٨- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

---

١ - الآيات من ١٣ - ١٨ من سوره الأنعام

٢ - الآيات من ٦٢ - ٦٧ من سورة الزمر

٣ - الآيات ٨٤، ٨٥ من سورة الزخرف

٤ - الآيات ٣٦، ٣٧ من سوره الجاثيه

٥ - الآيات ٥٠، ٥١ من سورة الذاريات

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]

٩- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[2]

١٠- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[3]

*****

١ - الآيات من ٢٢ - ٢٤ من سورة الحشر

٢ - الآيات من ٢٧ - ٣٠ من سورة الفجر

٣ - سورة الإخلاص

٤ - المَوَدَّة

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

الزواج آية من آيات الله ﷻ، ونعمة منه ﷻ على عباده، وعلينا أن نقف عندها ونتأمل فيها، وما الزوجة في تعبير القرآن إلا جزءٌ من روحها ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾، فهي سكن يأوي إليه، ويرتاح عنده لعهد جديد، والله ﷻ هو الذي جعل بينهما المودة والرحمة، وهما كلمتان تصفان أعمق وأرق وأسمى المشاعر التي يمكن أن يتبادلها الزوجان

مَوَدَّة.

ليست حبًّا عنيفًا وشوقًا وهيامًا سرعان ما يطفئ مع مسئوليات الحياة، وانشغال الزوجة بالأطفال، أو مع ذهاب الجمال وانقضاء الشباب، ولكن مودة هادئة عميقة دائمة العطاء، لابد أن يشعر بها الزوج في كلمات زوجته، وتعاملها معه

ورَحْمَة:

عفو وتسامح وصبر، لا تكلف الزوجة زوجها ما لا يطيقه، بل تستعد بـ سجية من أجل راحته

هذا هو الزواج في نظر الإسلام سكن تسوده المودة والرحمة

والآن، فليسأل كل زوجين أنفسهما

هل بيتنا هو السكن الذي نشعر فيه بالمودة والرحمة؟

*****

---

١ - الآية ٢١ من سورة الروم